الباب الأول

الأديـــان

الفصل الأول

العرب قبل الإسلام

الحالة الاجتماعية

سنكتفى من الناحية الاجتماعية بجانب واحد هو علاقة العربى بأخيه لأن هذا الجانب سيكون له تأثيره فى نشأة الفرق بعد ذلك.

لقد كان هناك القحطانيون والعدنانيون. وكان بين الاثنين عداوة مستمرة كما كانت هناك عداوات داخل القحطانيين والعدنانيين، بحيث أصبحت هذه العداوات تهدد أبناء البيت الواحد بالفناء، بسبب الحروب التى كانت تنشب لأوهى الأسباب:

ولنأخذ مثلاً لهذه الحروب (حرب البسوس)، هذه الحرب التى دامت أربعين عامًا حتى كادت تأكل "ربيعة".. وتكاد تكون صورة مكررة لكل الحروب التى كانت تنشب فى الجزيرة العربية.

إنها الحرب من أجل لقمة العيش، والمحافظة على الكرامة التى ما إن يشعر العربى أنها جرحت إلا ويضع دمه، وكل ما يملك فداء لها.

لقد قامت الحروب من أجل التنازع على المرعى، وعلى الماء ومن أجل التنازع على الرياسة، ومن أجل سلب الغير ما عنده وكثيرًا ما كان العربى يفخر بأنه ظلم غيره، ويقبل المجتمع فخره حيث يقول:

بغـاة ظـالمين ومـا ظلمـنا ونـبدأ حـين نـبدأ ظالميـنا
ونشرب إن وردنا الماء صفوا ويشـرب غيرنـا كدراوطيـنا

وما من حرب إلا وفيها المنتصر والمنهزم. ويأتى الشعراء ليزيدوا النار اشتعالاً بشعرهم، حيث يؤججون نار العداوة بذكر المعارك الحربية، وما تم فيها، وهنا لا يرضى أى من الطرفين أن تسير الركبان بما قيل فيه من شعر يحط من كرامته، فيشعل

الحرب من جديد، حتى يثأر لنفسه إن كان منهزمًا، أو يزيد من فخر الشعراء فيه إن كان منتصرًا. وما كان لهذا النزاع أن ينتهى أو يطمع أحد فى إنهائه؛ فعلاوة على ما قدمنا من أسباب النزاع التى لا يمكن تلافيها نجد النزاع بين القحطانيين (حمير) وبين المضريين قد أصبح له جذور لا يمكن اقتلاعها بحال، وذلك بسبب طول النزاع بين الاثنين.

"وقد أثار ذلك النزاع المتواصل بين (حمير) و(مضر) - فى سبيل التفوق من جهة ونيل الاستقلال من الجهة الأخرى - عاطفة جامحة من الحسد والبغضاء فى قلوب الفريقين، وزاد فى سعيرها قصائد شعرائهما الحماسية التى كانوا يشيدون فيها بأيام الحروب والسلطان.

ولما ظهر الإسلام بدأت تعاليمه تقضى على هذا العداء القبلى وتلطف من حدة تلك القصائد النارية"[1].

فى حياة الرسول صلى الله عليه وسلم خفت العداوة بين الفريقين ولكن برهنت الأيام أنهم كانوا يحملون معهم الضغائن أينما ذهبوا.

وإذا كانت الفتوحات قد شغلتهم مدة أبى بكر وعمر وأوائل عهد عثمان فإن تلك الضغائن أخذت تظهر بوضوح بعد ذلك. وحاول الأمويون الاستفادة من هذه العداوة "حيث أو غروا فى الصدور مكنون الضغائن القديمة التى كان يشتد سعيرها، فى الأندلس وصقلية، وصحارى إفريقيا، وسهول خراسان، وقفار كابول.

ويؤيد لنا التاريخ فيما بعد أن هذا التباغض المحزن لم يكن وخيم العاقبة على مثيريه فحسب، بل كان له أعظم الأثر أيضًا على مستقبل الشعب العربى، وعلى تقرير مصير العناصر الرومانية والجرمانية التى اشتبكت معهم فى القتال.

ومن المحزن حقًا أن العرب لم يدركوا وقتئذ حراجة موقفهم، بل راحوا يضعون العقبات فى سبيل نجاحهم فى اللحظة التى طأطأ الغرب لهم هامته، وخر ساجدًا تحت أقدامهم.

---

(١) تاريخ العرب والتمدن الإسلامى ص ٦٥.

ومهما يكن من شئ فإن تفاقم تلك الأحقاد أدى فى الواقع إلى ضياع أهم جزء من أمبراطوريتهم"[١].

لقد كان لهذه الخلافات القبيلة أثرها فى الحرب التى وقعت بين المسلمين وقت الفتنة، فكانت هذه الأحقاد القديمة هى المحرك للحرب الأهلية.

ولقد يكون الأمر فى الظاهر بسبب الخلافة، وفيمن تكون، وبسبب الخلافة كانت الفرق المتعددة التى اختلفت حول من هو أحق بالخلافة، كما اختلفت حول مرتكب الكبيرة وهل هو كافر أو مؤمن.

قد يكون هذا هو الظاهر ولكن لابد أن نرجع بالأمر إلى أبعد من هذا إلى الخلافات القبلية القديمة، فعليها كان الاختلاف فيمن هو أحق بالحكم ثم ما ترتب على ذلك من خلاف فى العقيدة بين الفرق خاصة السياسية كالشيعة والخوارج.

حالة العرب الدينية

كانت فى العرب ديانات متعددة: منها عبادة الأصنام، والصابئة، واليهود، والنصارى.

والآن إلى شئ من التفصيل.

عبادة الأصنام:

إن المتتبع للتاريخ يجد أن بنى الإنسان كلما انحطوا فكريا وركنوا إلى المحسوس فى عبادتهم، لأنهم لا يستطيعون الارتفاع إلى درجة التجريد. إنهم كلما تصوروا موجودًا تصوروه محسوسًا، ومن هنا اتخذوا أصنامًا آلهة، حيث قد ارتبطوا بالمحسوس، لا يرتفعون فوقه، وتكاد كل العصور تكون حاوية لمجموعات من هؤلاء الحسيين فى عبادتهم.

لقد رأيناهم فى عهد نوح، وعهد إبراهيم، وعهد موسى، وعهد محمد عليهم جميعًا أفضل الصلاة والسلام، ويظهر أن الذين يرتبطون بالمحسوس فى العبادة قلما يستطيعون التخلص مما هم فيه.

---

(١) نفسه ص ٦٦.

إننا نجد قوم موسى يتطلعون إلى عبادة الأصنام، ولما تجف أقدامهم من البحر الذى فلقه الله لهم، وأغرق فرعون فيه. قال تعالى: ﴿ وَجَٰوَزْنَا بِبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ فَأَتَوْا۟ عَلَىٰ قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَىٰٓ أَصْنَامٍ لَّهُمْ ۚ قَالُوا۟ يَٰمُوسَى ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ ۚ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿١٣٨﴾ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ مُتَبَّرٌ مَّا هُمْ فِيهِ وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾[1].

وفى إقليم بخارى ـ قبل الإسلام ـ نجد أن الأصنام تدخل هذا الإقليم الناشئ علي يد خطيبة أمير إذ" حين أتى هذا الأمير بخطيبته ابنة امبراطور الصين أودعت هذه الأميرة فى مدينة "رامتن" الأوثان التى كانت قد أتت بها مما كان يخصها"[2]. هذا بالنسبة للسبب المشترك فى عبادة الأصنام.

أما بالنسبة للأسباب الخاصة بالعرب فهناك أسباب تروى فى سبب عبادتهم للأصنام. منها:

١ـ أن الأصنام دخلت إلى مكة وما حولها على يد "عمرو بن لحى" الذى ولى أمر الكعبة بعد أن تغلب على جرهم وأجلاهم فقد مرض عمرو بن لحى مرضًا شديدًا فقيل له: إن بالبلقاء من الشام حمة إن أتيتها برأت، فأتاها فاستحم بها فبرأ، ووجد أهلها يعبدون الأصنام فقال ما هذه؟ فقالوا: نستسقى بها المطر ونستنصر بها على العدو. فسألهم أن يعطوه منها، ففعلوا، فقدم بها مكة ونصبها حول الكعبة"[3].

وبذلك دخلت عبادة الأصنام بين العرب، إذ بعد أن صنع "عمرو بن لحى" هذا دانت العرب للأصنام وعبدوها"[4].

٢ـ مما يروى أيضًا من أسباب فى عبادة الأصنام "أن اسماعيل بن إبراهيم صلى الله عليهما لما سكن مكة، وولد له بها أولاد كثير حتى ملأوا مكة، ونفوا من كان بها

---

(١) سورة الأعراف الآية ١٣٨ ـ ١٣٩.

(٢) تاريخ بخارى ص ٣٨ وإذا عرف أن هذا كان فى بدء تعمير الإقليم تعرف أن جلب الأصنام كان هو السبب وكانت الأصنام فى الصين بسبب البوذية.

(٣) الأصنام ص ٨.

(٤) نفسه ص ١٣.

من العماليق، ضاقت عليهم مكة، ووقعت بينهم الحروب والعداوات، وأخرج بعضهم بعضا فتفسحوا فى البلاد، والتماس المعاش.

وكان الذى سلخ بهم إلى عبادة الأوثان والحجارة أنه كان لا يظعن من مكة ظاعن إلا احتمل معه حجرًا من حجارة الحرم، تعظيمًا للحرم، وصبابة بمكة فحيثما حلوا وضعوه وطافوا به، كطوافهم بالكعبة، تيمنا منهم بها وصبابة بالحرم وحبا له. وهم بعد يعظمون الكعبة، ويحجون ويعتمرون، على إرث إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام.

ثم سلخ ذلك بهم إلى أن عبدوا ما استحبوا، ونسوا ما كانوا عليه واستبدلوا بدين إبراهيم وإسماعيل غيره، فعبدوا الأوثان، وصاروا إلى ما كانت عليه الأمم من قبلهم، وانتجثوا ما كان يعبد قوم نوح عليه السلام منها، على إرث ما بقى فيهم من ذكرها. وفيهم على ذلك بقايا من عهد إبراهيم وإسماعيل يتنسكون بها: من تعظيم البيت والطواف به، والحج والعمرة، والوقوف على عرفة ومزدلفة وإهداء البدن، والإهلال بالحج والعمرة - مع إدخالهم فيه ما ليس منه.

فكانت نزار تقول إذا ما أهلت: لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك، إلا شريك هو لك، تملكه وما ملك.

ويوحدونه بالتلبية، ويدخلون معه آلهتهم، ويجعلون ملكها بيده يقول الله عز وجل: ﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴿١٠٦﴾ ﴾[1] "أى مايوحدوننى بمعرفة حقى، إلا جعلوا معى شريكًا من خلقى"[2].

ولاشك أن العرب لم يكونوا كلهم سواء فى اعتقادهم فى الأصنام: فمنهم من ترك عبادتها لإيمانه بأنها لا تنفع ولاتضر وذلك مثل(زيد بن عمرو بن نفيل) الذى ترك عبادة الأصنام كلها واتجه إلى الله سبحانه.

---

(١) سورة يوسف آية ١٠٦.

(٢) الأصنام ص ٦، ٧ ونجث عنه نجثا: بحث ونبش. والشيء: استخرجه وانتجث الشيء نجثه.

ومنهم من كان يتعلق بعبادتها إلى آخر لحظة من حياته، حتى إذا ما أدركته الوفاة لم يكن خوفه من الموت، بل كان كل خوفه من انصراف الناس عن عبادة الأصنام، وهذه الحادثة تبين لنا هذا النوع من الناس:

مرض أبو أحيحة وهو"سعيد بن العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف" مرضه الذى مات فيه فدخل عليه أبو لهب يعوده، فوجده يبكى، فقال ما يبكيك يا أبا أحيحة، أمن الموت تبكى و لابد منه، قال: لا. ولكنى أخاف ألا تعبد العزى بعدى. قال "أبو لهب": والله ماعبدت حياتك لأجلك، ولا تترك عبادتها بعدك لموتك.

فقال(أبو أحيحة): الآن علمت أن لى خليفة. وأعجبه شدة نصبه فى عبادتها)[١].

ففى هذه اللحظة التى كان المأمول فيها أن يعود إلى ربه وجدناه يتمسك بكفره إلى هذا الحد الذى عرفناه. وفى مثل هؤلاء الذين لا يرجعون عن باطلهم يقول الله سبحانه: ﴿ وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَظَلُّواْ فِيهِ يَعْرُجُونَ ۝ لَقَالُوٓاْ إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَـٰرُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ ۝ ﴾[٢].

فلو صعدوا إلى السماء ورأوا عجائبها (لقالوا ـ من غلوهم فى العناء وتشكيكهم فى الحق ـ إنما سكرت أبصارنا: سدت عن الابصار بالسحر.. قد سحرنا محمد بذلك كما قالوه عند ظهور غيره من الآيات[٣]).

إن هؤلاء قد ألغوا عقولهم، فلم يتجهوا بها إلى معرفة الحق والنظر فى دلائله، ولم ينتفعوا بأبصارهم بالنظر إلى ما خلق الله نظر اعتبار، كما لم ينتفعوا بآذانهم فى سماع المواعظ سماع تأمل وتذكر.

فهم قد أغلقوا على أنفسهم جميع المنافذ، فمن أين يصلون إلى الحق؟

وبين هؤلاء وهؤلاء أى بين الذين تركوا الأصنام إلى عبادة الله، وبين الذين لا يرضون بعبادتها بديلا.

---

(١) نفس المصدر ص ٢٣.

(٢) الحجر آية ١٤،١٥.

(٣) تفسير البيضاوى.

بين هؤلاء وهؤلاء قوم ليسوا بمثل هذه العقيدة فى الأصنام، فهم على عقيدتهم إلى أن تفجأهم حادثة توقظهم من غفلتهم وترجعهم إلى صوابهم.

ونضرب لذلك مثلا بصنم هو (الفلس) الذى كان لطئ " وكانوا يعبدونه ويهدون إليه، ويعترون عنده عتائرهم، ولا يأتيه خائف إلا أمن عنده، ولا يطرد أحد طريدة فيلجأ بها إليه إلا تركت له ، ولم تخفر حويته.

وكانت سدنته بنو بولان. وبولان هو الذى بدأ بعبادته فكان آخر من سدنه منهم رجل يقال له صيفى، فأطرد ناقة خلية لامرأة من كلب من بنى عليم ـ كانت جارة لمالك بن كلثوم الشمجى، وكان شريفا. فانطلق بها حتى وقفها بفناء "الفلس" وخرجت جارة مالك فأخبرته بذهابه بناقتها، فركب فرسًا عرياً وأخذ رمحه، وخرج فى أثره، فأدركه وهو عند الفلس والناقة موقوفة عند الفلس.

فقال له: خل سبيل ناقة جارتى.

فقال: إنها لربك. قال: خل سبيلها.

قال: أتخفر إلهك؟

فبوأ له الرمح. فحل عقالها، وانصرف بها مالك.

وأقبل السادن على الفلس، ونظر إلى مالك، ورفع يده، وقال وهو يشير بيده إليه:

يارب إن مالك بن كلثوم أخفرك اليوم بناب علكوم

وكنت قبل اليوم غير مغشوم

يحرضه عليه، وعدى بن حاتم يومئذ قد عتر عنده وجلس هو ونفر معه يتحدثون بما صنع مالك.

وفزع لذلك عدى بن حاتم، وقال: أنظر ما يصيبه فى يومه هذا.

فمضت أيام لم يصبه شيء، فرفض عدى عبادته وعبادة الأصنام، وتنصر.

فلم يزل متنصرًا حتى جاء الله بالإسلام، فأسلم، فكان مالك أول من أخفره.

فكان بعد ذلك السادن إذا أطرد طريدة أخذت منه"[١].

هنا نجد عقيدة مزعزعة فى الأصنام كان يتسع يومًا بعد يوم ولنأخذ على ذلك ـ علاوة على ما تقدم ـ مثالين.

الأول: "كان لمالك وملكان ابنى كنانه بساحل جدة فى تلك الناحية صنم يقال له "سعد" وكان صخرة طويلة، فأقبل رجل منهم بإبل له، ليقفها عليه يتبرك بذلك فيها، فلما أدناها منه نفرت منه. وكان يهراق عليه الدماء فذهبت فى كل وجه، وتفرقت عليه.

وأسف، فتناول حجرا فرماه به، وقال:

لا بارك الله فيك إلهًا، أنفرت على إبلى:

ثم خرج فى طلبها حتى جمعها، وانصرف عنه وهو يقول:

أتينا إلى سعد ليجمع شملنا فشتتنا سعد فلا نحن من سعد
وهل سعد إلا صخرة بتنوفه من الأرض لا يدعى لغى ولا رشد[٢]

الثانى: أنه كان من عادة العربى ضرب القداح عند الأصنام عندما يريد الإقدام على أمر، ثم يتجه تبعًا لما خرجت به الأقداح.

وعندما أقبل "امرؤ القيس بن حجر" يريد الغارة على بنى أسد مر بـ"ذى الخلصة، وكان صنما بتبالة، وكانت العرب جيمعًا تعظمه، وكانت له ثلاثة أقدح: الآمر والناهى والمتربص.

---

(١) الأصنام ٥٩ ـ ٦١ والعتيرة الذبيحة، العتائر جمع عتيرة وقوله ولم تخفر حويته: فى أساس البلاغة: أخفرته نفضت عهده. وفى لسان العرب: أخفر الذمة لم يف بها. والخفارة: الذمة وانتهاكها إخفار. وأخفرت الرجل إذا نفضت عهده وذمامه، والهمزة فيه للإزالة، أى أزلت خفارته.
والحويه،كفنية: استدارة كل شيء (قاموس).
والمعنى:أن ما صار فى حوزته؛ وحرمه يترك له:
ويقال له فى عرفنا الآن: دائرة اختصاصه، والناقة الخلية هى التى تنتج وهى غزيرة فيجر ولدها من تحتها، فيجعل تحت غيرها، وتخلى هى للحلب.

(٢) نفسه ص ٣٦ ـ ٣٧ فى المعجم الوسيط التنوفة الفلاة لاماء فيها ولا أنيس.

فاستقسم عنده ثلاث مرات، فخرج الناهى، فكسر القداح وضرب بها وجه الصنم وقال: .... لو كان أبوك قتل ما عوقتنى. ثم غزا بنى أسد فظفر بهم.

فلم يستقسم عنده بشيء حتى جاء الإسلام.

فكان امرؤ القيس أول من أخفره[1].

وهكذا نجد حادثة واحدة تلغى العقيدة فى هذا الصنم أو ذلك بعد أن كانت موجودة.

وقد رأينا كيف انتهت العقيدة فى كل من "الفلس" و"ذى الخلصة" و"سعد" فلم يعد واحد منها محل تقديس بعد أن كان مقدسًا.

ولعل هذا كان كتمهيد لبعثة الرسول صلى الله عليه وسلم ليقضى على الوثنية القضاء النهائى.

نقول كان هذا كتمهيد للرسالة الإلهية لأنه كان من الممكن أن يصاب "مالك بن كلثوم" بأذى.

كما كان من الممكن أن ينهزم "امرء القيس".

أو تنمو إبل الرجل الذى جاء بها إلى "سعد" أو على الأقل لا تتفرق.

قد كان يمكن أن يحصل واحد من هذا وعندئذتثبت العقيدة فى الأصنام ولكن الله سلم، وتزعزعت العقيدة فى الأصنام.

لماذا عبدت الأصنام؟

قد يكون ما تقدم من جلب "عمرو بن لحى" للأصنام أو أنه كان لا يظعن ظاعن من ولد إسماعيل من مكة إلا إذ أخذ معه حجرًا من حجارة الحرم تعظيمًا له ثم تطور الأمر حتى كانت أصنامًا تعبد.

قد يكون هذا أو ذاك ولكن لازال الأمر يحتاج إلى تفسير أعمق لأن عمرو بن لحى جلب الأصنام من عند قوم يعبدونها، فلماذا عبدوها! والذين عبدوها للذكرى لماذا استمروا على عبادتها برغم نسيان السبب وهو الذكرى؟

إن القرآن الكريم أتانا بوجهة نظر عابدى الأصنام؟

---

(١) نفسه ص ٤٧.

مرة بأنهم ألغوا عقولهم نهائيا عندما قالوا ﴿ قَالُوا۟ بَلْ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا كَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٧٤﴾ ﴾[1]

إنه السير على نهج الآباء ولا شيء غير ذلك.

ومرة كانت لهم وجهة نظر عندما قالوا:

﴿ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ ﴿٣﴾ ﴾[2]

هنا تجد تعليلا لعبادة الأصنام غير الأسباب التى تقدمت وهذا التعليل هو الجانب الفكرى فى الموضوع.

والبيرونى يبين ميل العامى إلى المحسوس فيقول: معلوم أن الطباع العامى نازع إلى المحسوس، نافر عن المعقول الذى لا يعقله إلا العالمون، الموصوفون فى كل زمان ومكان بالقلة.

ولكونه إلى المثال عدل كثير من أهل المثال إلى التصوير فى الكتب والهياكل، كاليهود والنصارى: ثم المنانية خاصة....

وهذا هو السبب الباعث على إيجاد الأصنام بأسامى الأشخاص المعظمة من الأنبياء والعلماء والملائكة مذكرة أمرهم عند الغيبة والموت، مبقية آثار تعظيمهم فى القلوب لدى الفوت.

إلى أن طال العهد بعاملها، ودارت القرون والأحقاب عليها، ونسيت أسبابها ودواعيها. وصارت رسمًا وسنة مستعملة.

ثم داخلهم أصحاب النواميس من بابها، إذ كان ذلك أشد انطباعًا فيهم فأوجبوه عليهم.

وهكذا وردت الأخبار فيمن تقدم عهد الطوفان وفيمن تأخر، وحتى قيل: إن كون الناس قبل البعثة أمة واحدة هو على عبادة الأوثان".

---

(١) سورة الشعراء آية ٧٤

(٢) سورة الزمر آية ٣.

ثم يحكى البيرونى أسطورة هندية فى عبادة الأصنام عن ملك رغب عن الملك وتجرد للعبادة، وقد تجلى له"أندر" رئيس الملائكة،وقال له سل ما بدا لك إلا أن الملك قال له: لست أطلب منك بل ممن خلقك، وقال "أندر": كل العالم ومن فيه فى طاعتى. فمن أنت حتى تخالفنى؟

وقال الملك: أنا أعبد من وجدت أنت هذه القوة من لدنه، وهو رب الكل وهدده "أندر" بالقتل. ولكن الملك رد بأنه لا يعرف لنفسه ذنبًا يعاقب من أجله.

والله سيحفظه ما دام مخلصًا لله.

ثم رجع الملك إلى العبادة.

"ولما أخذ فيها تجلى الرب فى صورة إنسان.. فلما رآه الملك اقشعر جلده من الهيبة وسجد وسبح كثيرًا فآنس وحشته، وبشره بالظفر بمرامه".

ثم ينصحه بالتخلى عن الدنيا، ثم يقول له:"واصرف النية إلى فيما تعمله من تعمير الدنيا، وحماية أهلها، وفيما تتصدق به، بل وفى كل الحركات،فإن عليك نسيان الإنسية، فاتخذ تمثالاً كما رأيتنى عليه، وتقرب بالطيب والانوار إليه، واجعله تذكارًا لى لئلا تنسانى؛ حتى إن عنيت فبذكرى. وإن حدثت فباسمى، وإن فعلت فمن أجلى ... ثم غاب الشخص عن عينه ورجع الملك إلى مقره، وفعل ما أمر به".

بهذا تفسر لنا الأسطورة مبدأ عمل الأصنام وأنه عندما يعجز الإنسان ـ بسبب إنسيته ـ عن مداومة الاتصال بالرب يجعل له تمثالاً يذكره به.

وهناك أسطورة أخرى. بأنه كان "لبراهم" ابن كل همة رؤية الرب.

"وبينا هو فى فكرة المأمول إذ رأى نورًا من بعيد فقصده ونودى منه إن ما تسأله وتتمناه ممتنع الكون، فليس يمكنك أن ترانى إلا هكذا ونظر، فإذا شخص نورانى على مثال أشخاص الناس، ومن حينئذ وضعت الأصنام بالصور،.. وقد كانت اليونانية فى القديم يوسطون الأصنام بينهم وبين العلة الأولى، ويعبدونها بأسماء الكواكب والجواهر العالية، إذ لم يصفوا العلة الأولى بشيء من الإيجاب، بل بسلب الاضداد تعظيمًا لها وتنزيها فكيف أن يقصدوها للعبادة.

ولما نقلت العرب من الشام أصنامًا إلى أرضهم عبدوها كذلك ليقربوهم إلى الله زلفى [١]".

هذا هو تحليل البيرونى لعبادة الأصنام وأنها واسطة بين الخلق والرب.

ولكنه يبين أن اتخاذ الأصنام معبودات إنما كان من العوام الذين سفلت مراتبهم وقصرت معارفهم.

إن السبب عند الجميع هو الشعور بالعجز عن الاتصال بالرب مباشرة والشعور بالحاجة إلى وسيط بين الإنسان والرب لأسباب توهموها.

ومن هنا نجد التشابه بين العربى واليونانى فى هذه الفكرة. ويشترك مع العربى واليونانى غيرهما من الشعوب كالهندى والأفريقي.

الفكرة واحدة وإن اختلفت فى التفاصيل[٢].

والقاضى صاعد يسير فى نفس الاتجاه عندما يبين سبب عبادة العرب للأصنام فيقول فى طبقات الأمم: "وجميع عبدة الأوثان من العرب موحدة لله تعالى، وإنما كانت عبادتها لها ضربًا من التدين بدين الصابئة فى تعظيم الكواكب والأصنام الممثلة بها فى الهياكل لا على ما يعتقده الجهال بديانات الأمم، وآراء الفرق، من أن عبدة الأوثان هى الآلهة الخالقة للعالم.

ولم يعتقد قط هذا الرأى صاحب فكرة، ولا دان به صاحب العقل، دليل ذلك قول الله تبارك وتعالى: ﴿ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ ﴿٣﴾ ﴾.

هذا هو رأى القاضى صاعد وهو لا يختلف عن رأى "البيرونى" وهو الرأى الذى جاء به القرآن الكريم [٣] وصدقه علماء الأديان فى العصر الحديث كما تقدم عن عبادة الأفريقين.

---

(١) أرجع إلى الفلسفة الهندية ص ١٠٠ - ١١٠.

(٢) ارجع إلى الفصل الخاص بالدين فى أفريقيا من هذا البحث.

(٣) أى أنهم يعبدونهم ليقربوهم إلى الله زلفى ولكن القرآن ينفى عنهم التوحيد قال تعالى:" **وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون**".

فإذا ما انتقلنا من العبادة إلى شيء آخر مما يتعلق بصلتهم بالأصنام وجدنا عند العرب الذبح عند الأصنام.

ونجد ذلك أيضًا عند غيرهم كالهنود.

فعن الهنود. يقول البيرونى :

و"عند جماعة هذه الأصنام يقتل الأغنام والجواميس بالكتارات ليغتذين بدمائها"[١]

والعرب كذلك كانت تذبح للأصنام: وكان مماحرمه الله من اللحوم "ماذبح على النصب" المعنى ـ كما يقول القرطبى ـ والنية فيها تعظيم النصب.

ويقول سبحانه تعالى:

"وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والأنعام نصيبًا فقالوا هذا لله يزعمهم وهذا لشركائنا".

وفى الكلام حذف أى وجعلوا لأصنامهم نصيبًا وكانوا يسمون ذبائح الغنم التى يذبحون عند أصنامهم وأنصابهم تلك: العتائر (والعتيرة فى كلام العرب الذبيحة)والمذبح الذى يذبحون فيه لها العتر. ففى ذلك يقول زهير بن أبى سلمى :

فزل عنها وأوفى رأس مرقبة كمنصب العتر دمى رأسه النسك[٢]

وكانوا يسمون بالأصنام مثل مناة واللات والعزى فقد سموا "عبد مناة ابن أد، و تيم اللاة بن رفيدة بن ثور، وعبد العزى بن كعب"[٣].

---

(١) الفلسفة الهندية ص ١٠٧ وجاء فى لسان الرب الكترة: القبة.

(٢) الأصنام ص ٣٤.

(٣) يراجع كتاب الأصنام ص ١٨ وتيم اللات أى عبد اللات.

الصابئة

معنى الكلمة: العرب تسمى كل خارج من دين إلى دين آخر غيره صابئًا.

وقد صبأ يصبأ صبأ وصبوءًا، وصبؤ يصبؤ صبأ وصبوءًا. كلاهما خرج من دين إلى آخر. ومن هنا كان يقال للرجل إذا أسلم فى زمن النبى صلى الله عليه وسلم: قد صبأ.

وصبأ ناب البعير، وصبأ النجم، طلع.

وفى تفسير البيضاوى عن لفظ الصابئين قوله: "وهو إن كان عربيًا فمن صبأ إذا خرج، وقرأ نافع وحده بالياء إما لأنه خفف الهمزة وأبدلها ياءاو لأنه من صبأ إذا مال، لأنهم مالوا عن سائر الأديان إلى دينهم أومن الحق إلى الباطل".

وفى اللغة العبرية: صبأ خرج للحرب ـ استمر فى الحرب، صبأ خرج للعبادة ـ تعبد فى المعبد.

وهنا نجد قربا بين معناها فى اللغة العربية واللغة العبرية فهى تفيد معنى البروز والخروج.

لكن فى اللغة الآرامية:

صبأ رغب ـ فضل ـ اختار.

وهنا نجد القرب ـ كذلك ـ بين معناها مخففًا فى اللغة العربية بمعنى مال، ومعناها فى اللغة الآرامية، وليس من الغريب أن نجد الكلمة فى اللغات الثلاث متقاربة المعنى، وليس هناك مانع أن تكون اللغتان قد أخذتا الكلمة من اللغة العربية فمن المعروف أن اللغة العبرية متأخرة عن العربية.

"وأن الأنباط كانو يتكلمون العربية الدارجة إلا أنهم ـ بسبب عدم وجود الخط العربى فى ذلك التاريخ البعيد ـ كانوا يستعملون الحروف الآرامية التى كان يستعملها جيرانهم الشماليون"[1].

---

(١) تاريخ العرب م١ جـ١ ص ٨٣.

وبذلك دخلت كلمات اللغة العربية إلى اللغة الآرامية.

بعد ذلك نرجع إلى الصابئة مكانًا وعقيدة.

من ناحية المكان :

كانوا يقطنون الموصل وواصل وسواد العراق.

وكان وجود الصابئة فى هذا المكان الذى يقع فى طرق القوافل سببًا فى تأثرهم بعقائد كثيرة من معتقدات الملل الأخرى، حيث كان أصحاب هذه العقائد يترددون عليه، أو يمرون أو يقيمون نظرًا لتوسطه للعالم، لذا نرى فى الصابئة شبهًا لكل دين سماوى، أو غير سماوى، وبذلك لا يمكن الحكم عليهم جميعًا بحكم واحد، بل يكون الحكم :

منهم من يقول بكذا ومنهم من يقول بكذا.

والصابئة الحقيقيون كانوا يتركزون وسط العراق وهم المتقدمون.

والمتأخرون، وهم الحرانية، كانوا يتركزون شمال العراق تقريبًا.

وهؤلاء الحرانيون دعوا بالصابئة، منذ عهد المأمون بفتوى شيخ فقيه مسلم، من أهل حران؛ كى يتمتعوا بحقوق أهل الكتاب، حيث الصابئة اسم لطائفة دينية مذكورة فى القرآن.

وهناك طبقة منهم تتسمى بهذا الأسم، يزعمون أنهم على دين شيث بن آدم، وأنه المبعوث إليهم، كما يزعمون أن فى يدهم كتابه.

والأولون مخالفون للحرانيين ويهاجمون مذهبهم، ولا يوافقونهم إلا فى أمور قليلة.

أما عقائدهم فكما قلنا فيها شبه من كل دين سماوى وغير سماوى.

نجد عندهم عقائد هى مذاهب فلسفية.

فقد "زعم قوم من قدمائهم أن هيولى كان لم يزل وأن صانعًا لم يزل، ثم صنع عالمًا من ذلك الهيولى"[1].

هنانجد شبها تاما بينهم وبين أرسطو فى القول بأزلية المادة مع الله.

---

(١) المغنى حـ٥ ص١٥٢.

ولكن لايمكن الآن الجزم بأيهما أخذ من الآخر.

وكان منهم الموحدون وكان لهم كتاب فى التوحيد رآه الكندى ووصفه بقوله:

إنه على غاية النفاثة فى التوحيد ولا يجد العيلموف ـ إذا أتعب نفسه ـ مندوحة من مقالاته والقول بها:

ويصفهم ابن النديم بالتوحيد ويقول فى الحنفاء إنهم هم "الصابئون الإبراهيميون الذين آمنوا بإبراهيم عليه السلام، وحملوا الصحف التى أنزلها الله عليه"ويصفهم البيضاوى فى تفسيره " قوم بين النصارى والمجوس وقيل أصل دينهم دين نوح عليه السلام وقيل هم عبدة الملائكة وقيل عبدة الكواكب، والإمام الرازى فى تفسيره يروى الآراء فيهم ثم يقول: والثالث "وهو الأقرب أنهم قوم يعبدون الكواكب،ثم لهم قولان:

الأول: أن خالق العالم هو الله سبحانه إلا أنه سبحانه أمر بتعظيم هذه الكواكب، واتخاذها قبلة للصلاة والدعاء والتعظيم.

والثانى: أن الله سبحانه خلق الأفلاك ، والكواكب، ثم إن الكواكب هى المدبرة لما فى هذا العالم من الخير والشر،والصحة والمرض، والخالقة لها فيجب على البشر تعظيمها لأنها الآلهة المدبرة لهذا العالم ثم إنها تعبد الله سبحانه وهذا المذهب هوالمنسوب إلى الكلدانيين الذين جاءهم إبراهيم عليه السلام رادًا عليهم،ومبطلاً لقولهم"

ومنهم الذين سموا الكواكب التى فى الفلك ملائكة ومنهم من سماها آلهة، وعظموها وعبدوها وبنوا لها بيوت عبادات على عدد سبعة كواكب ويدعون أن بيت الله الحرام أحدها، وهو بيت زحل وكما جاء فى مقدمة رسائل الكندى يذكر "البيرونى أن الكعبة وأصنامها كانت لهم.

وقد اتضح أن اعتقادهم فى الكواكب وغيرها ليس معناه كفرهم بالله نهائيًا ، بل كانت وجهة نظرهم أنهم يحتاجون فى صلتهم بالله سبحانه وتعالى إلى متوسط

روحانى لا جسمانى، فاتجهوا إلى الكواكب يعظمونها باعتبارها آلهة دنيا بينهم وبين الله[١].

وبذلك يقتربون من عباد الأصنام ومن الأفريقين ومن الهنود فى جعلهم وسائط بينهم وبين الله سبحانه، إلا أن هذه الوسائط تختلف من قوم إلى قوم هى حجر عند بعضهم، وحيوان عند البعض، وكواكب عند البعض، لكن فكرة الوساطة موجودة عند الكل.

ومرد الاختلاف فى الحكم على الصابئة راجع إلى الحكم عليهم من واقع أحوالهم.

وهذا لابد واقع لوأردنا الحكم على أمة من واقعها، نفرض مثلاً أن مجموعة من مؤرخى الأديان أرادت أن تحكم على المسلمين من واقعهم لا من كتابهم، لاشك أنهم سيختلفون فى الحكم، حيث يكون بعضهم قابل شيعيًا والآخر سنيًا وهكذا.

ولكن لو أن هؤلاء درسوا الإسلام لا المسلمين فإن دائرة خلافهم ستضيق حيث سيأخذون حكمهم من كتاب الإسلام مباشرة.

وعلى هذا نستطيع أن نقول إن الصابئين موحدون فى أصل عقيدتهم وذلك لما يأتى.

أولا"أننا نجد ذكرهم ورد فى القرآن الكريم فى ثلاث آيات.

الآية الأولى: فى سورة البقرة يقول تعالى:

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـُٔونَ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ﴾[٢]

والآية الثانية فى المائدة . يقول تعالى:

---

(١) يرجع فى الصابئة إلى أبى ريدة فى تعليقه على تاريخ الفلسفة فى الإسلام لديبور وإلى التمهيد للشيخ مصطفى عبد الرازق. وإلى كتب التفسير وإلى مقدمة رسائل الكندى لأبى ريدة.

(٢) آية ٦٢.

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلصَّٰبِـُٔونَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٩﴾ ﴾ (١)

والآية الثالثة فى سورة الحج . يقول تعالى:

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلْمَجُوسَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿١٧﴾ ﴾ (٢)

هذه هى الآيات الثلاث التى ورد فيها ذكر الصابئين، وبمقارنة هذه الآيات الثلاث نجد أن الحكم واحد عندما يكون الكلام عن اليهود والصابئين والنصارى وحدهم.

وهو أنهم إذا آمنوا بالله واليوم الآخر وعملوا الصالحات فإن لهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم، ولاهم يحزنون، ولكن عندما يكون الكلام عن هؤلاء الثلاثة ومعهم المجوس والمشركون فإن الحكم يختلف حيث سيفصل الله بينهم يوم القيامة، بإظهار من منهم على حق ومن منهم على باطل، حتى يأخذ كل منهم جزاءه.

ما الذى جد فى آية الحج حتى اختلف الحكم؟

الذى جد هو قوم مقطوع بأنهم على باطل، وهم المشركون.

هذا يتيح لنا أن نفهم أن الصابئين ـ كاليهود والنصارى ـ أهل كتاب.

وأن نجاتهم مرتبطة بالرجوع إلى الحق الذى نزل عليهم، كما جاء فى آية أخرى يقول تعالى ﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُولُواْ ٱشْهَدُواْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾ ﴾ (٣)

إنها دعوة إلى تخليص الأديان مما لحقها على يد أتباعها من تحريف فاليهود والصابئون والنصارى عندهم حق هو أساس دينهم وباطل ألحقوه هم وأدخلوه على

---

(١) آية ٦٩

(٢) آية ١٧.

(٣) آل عمران آية ٦٤.

دينهم، ونجاتهم مرتبطة بعملية تميز وتصفية حتى ينتهى أمرهم إلى الإيمان بالله ويتبعه إتيان الأعمال الموصلة إلى السعادة والابتعاد عما يسبب الشقاء .

أما المشركون فليس عندهم عملية تصفية بل الواجب هو الانتقال نهائيًا من الباطل إلى الحق ومن هنا اختلف الحكم فى الآيات.

هذا ما يمكن أن نلمحه فى الآيات

ثانيًا، لفظ الصابئين.

صبأ: خرج من دين إلى آخر. وصبا مال. هذا فى اللغة العربية.

وفى اللغة العبرية صبأ: خرج للعبادة ـ تعبد فى المعبد.

فى اللغة الآرامية: رغب ـ فضل ـ اختار.

فإذا قلنا: أن الصابئين ـ من أصل دينهم ـ كانوا على حق وجدنا اللغة معنا فى هذا الفهم دون تكلف لا فرق فى ذلك بين عربية وعبرية وآرامية .

ففى اللغة العربية صبا خرج من دين إلى دين. وحيث البيئة بيئة شرك فإن الخروج من الباطل إلى الحق. وصبا بمعنى مال، استعمل القرآن الكريم لفظًا شبيهًا به فى الميل إلى الحق وهو "حنيفًا".

فحنف عن الشيء حنفا مال

يقول سبحانه: ﴿قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِـۧمَ حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٩٥﴾﴾[1]

فحنيفا أى مائلاً عن الباطل إلى الحق.

وفى اللغة العبرية ـ وهى مأخوذة هنا من العربية لأنها متأخرة عنها ـ صبا معناها نص فى العبادة.

وفى اللغة الآرامية فيها معنى التفضيل والاختيار، وهو عادة يكون إلى الخير .

ثالثًا: شهادة كبار العلماء لهم بأنهم على التوحيد[2]

---

(١) البقرة آية ١٣٥

(٢) ارجع فى ذلك إلى مقدمة رسائل الكندى لأبى ريدة ص ٣٨، ٣٩.

فالكندى يبين أنه قرأ لهم كتابًا "على غاية النفاثة فى التوحيد. لا يجد الفيلسوف - إذا أتعب نفسه - مندوحة عن مقالاته والقول بها".

وابن النديم يقول عن الحنفاء: إنهم هم الصابئون الإبراهيميون الذين آمنوا بإبراهيم عليه السلام وحملوا الصحف التى أنزلها الله عليه.

والبيرونى يقول عن الصابئة الحرانين:

"ونحن لا نعلم منهم إلا أنهم أناس يوحدون الله، وينزهونه عن القبائح ويسمونه بالأسماء الحسنى مجازًا، إذ ليس عندهم صفة بالحقيقة، وينسبون التدبير إلى الفلك وأجرامه، ويقولون بحياتها ونطقها وسمعها وبصرها، ويعظمون الأنوار" ثم يذكر أنه كانت لهم أصنام وهياكل.

من شهادة العلماء هذه نجد أن التوحيد كان أساسًا فى ديانة الصابئة.

ونحن لا نريد أن نقول - مع ابن النديم - : إنهم هم الحنفاء لأن هذا الحكم يحتاج إلى دراسة أوسع ولكن الذى نريد أن نخرج به أنها ملة موحدة فى أصل عقيدتها.

وأن ما لحق هذه العقيدة مما يرويه البيرونى وغيره ليس إلا تشويها لحق هذه الملة فشوهها، كما شوهت النصرانية بالتثليث.

أى أن الصابئة التى كانت فى أول الإسلام واستمرت بعد ذلك حتى روى ابن النديم رؤساءهم، ومدة رئاسة كل منهم منذ أيام عبد الملك بن مروان أى منذ أواسط العصر الأموى حتى عهد ابن النديم نفسه فى النصف الثانى من القرن الرابع الهجرى.

ثم ما لحقها - كما ذكر البيرونى - من أنه كانت لهم أصنام وهياكل .. إلخ هذه ليست إلا الصابئة المشوهة التى لحقها ما لحق غيرها من الأديان.

وسيكون الرد على العقائد الباطلة دون نسبة هذه العقائد إلى أحد.

أى سيكون الدفاع عن التوحيد بإبطال العقيدة فى الآلهة الأخرى كالنجوم مثلاً، دون التأكيد بأن هذه عقيدة الصابئة أولاً.

وذلك أكتفاء بما سبق.

اليهودية

انتشرت اليهودية فى شبه الجزيرة العربية بعد تحطيم بيت المقدس سنة ٧٠م واضطرار اليهود إلى الهجرة وتكونت بذلك مستعمرات يهودية فى المدينة وخيبر، فى الشمال، كما انتشرت فى الجنوب.

ولقد كان ذونواس - وهو آخر ملك حميرى - يهوديًا وكانت اليهودية فى عهده هى دين اليمن.

ولا نستطيع أن نقول إن تأثير اليهودية كان كبيرًا فى الجزيرة العربية إذ أنه "على الرغم من أن المسيحية قد وضعت أقدامها فى نجران، واليهودية فى اليمن والحجاز، إلا أنه لا هذه ولا تلك قد بدا عليها أنها تركت كثيرًا من الأثر فى عقول عرب الشمال"[١].

والقرآن الكريم نص على أن أهل الكتاب بدلوا وغيروا فى التوراة.

ثم بين سبحانه أنهم يزعمون أن ما أتوا به إنما هو كلام الله، وفى الحقيقة ليس كذلك بل هم كاذبون.

يقول سبحانه:

﴿ وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُۥنَ أَلْسِنَتَهُم بِٱلْكِتَٰبِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمَا هُوَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٨﴾ ﴾[٢].

أى لتحسبوه من التوراة، وما هو من التوراة، ثم هم يكذبون وهم يعلمون أنهم كاذبون فيما يدعون. وما أخبرنا به الله سبحانه عن اليهود وتبديلهم التوراة هو ما أثبته النقاد عن التوراة. وبالطبع بعد شهادة الله سبحانه لا نحتاج إلى شهادة ولكننا نسوقه لهؤلاء الذين لا يؤمنون.

---

(١) فيليب حتى ص ١٣٠ جـ ١

(٢) آل عمران آية ٧٨.

فمن شهادة غير المسلمين نجد سبينوزا يأتينا بالأدلة الكثيرة على أن التوراة الموجودة ليست منزلة على موسى ولكنها كتبت على يد غيره يقول سبينوزا بعد أن يسوق الأدلة على ما يقول:

"وإذا نظرنا الآن تسلسل هذه الأسفار كلها وإلى محتواها، رأينا بسهولة أن الذى كتبها مؤرخ واحد، أراد أن يروى تاريخ اليهود القديم، منذ نشأتهم الأولى حتى هدم المدينة لأول مرة.

والواقع أن تسلسل هذه الأسفار تكفى وحدها لإثبات أنها تضم رواية لمؤرخ واحد.

فبمجرد انتهائه من قصة حياة موسى انتقل مباشرة إلى قصة يشوع:

وحدث بعد موت موسى، خادم الله، أن قال الله ليشوع...إلخ.

وبعد أن انتهى من قصة موت يشوع انتقل بنفس الطريقة إلى تاريخ القضاة، وربطها بنفس الطريقة بما سبق وبعد أن مات يشوع طلب بنو إسرائيل من الله... إلخ ثم الحق سفر راعوت بوصفه تذييلاً لسفر القضاة بهذه الطريقة.

وفى هذه الأيام التى يحكم فيها القضاة حدثت مجاعة كبيرة على هذه الأرض ثم ربط بنفس الطريقة. سفر صموئيل الأول بسفر راعوت.

وعندما انتهى من هذا السفر الأول انتقل إلى الثانى أيضًا بنفس الطريقة.

وإذن - كما يقول اسبينوزا - فمجموع النصوص والترتيب الذى تتعاقب به الروايات يدل على أن كاتبها مؤرخ واحد وله غرض محدد.... إلخ"[١].

ثم بعد ذلك يفيدنا اسبينوزا بأن هذا المؤرخ - وهو عزرًا - كما يقول -

"لم يفعل أكثر من أنه جمع روايات موجودة عند كتاب متعددين، وفى بعض الأحيان كان يقتصر على نسخها، ونقلها على هذا النحو إلى الخلف دون فحصها أو ترتيبها. ولا أستطيع - كما يقول - أن أضمن الأسباب التى منعته من إتمام عمله هذا بحيث يوليه كل عنايته، إلا إذا كان موتًا مبكرًا"[٢].

---

(١) رسالة فى اللاهوت و السياسة ص ٢٧٦

(٢) نفسه ص ٢٨٣.

وإذا رجعنا نحن إلى التوراة فإننا نجد فيها أكثر من دليل على الوضع نأخذ واحدًا منها.

تقول التوراة عن لوط بعد نجاته وهلاك قومه.

٣٠ ـ وصعد لوط من صوغر، وسكن الجبل، وابنتاه معه، لأنه خاف أن يسكن فى صوغر، فسكن فى المغارة هو وابنتاه.

٣١ ـ وقالت البكر للصغيرة. أبونا قد شاخ، وليس فى الأرض رجل ليدخل علينا كعادة كل الأرض.

٣٢ ـ هلم نسقى أبانا خمرًا، ونضطجع معه، فنحي من أبينا نسلا.

٣٣ ـ فسقتا أباهما خمرًا فى تلك الليلة، ودخلت البكر، واضطجعت مع أبيها، ولم يعلم باضطجاعها ولا بقيامها.

٣٤ ـ وحدث فى الغد أن البكر قالت للصغيرة : إنى قد اضطجعت البارحة مع أبى. نسقيه خمرًا الليلة أيضًا، فادخلى اضطجعى معه، فنحي من أبينا نسلا.

٣٥ ـ فسقتا أباهما خمرًا فى تلك الليلة أيضًا وقامت الصغيرة واضطجعت معه، ولم يعلم باضطجاعها، و لا بقيامها.

٣٦ ـ فحبلت أبنتا لوط من أبيهما .

٣٧ ـ فولدت البكر ابنا، ودعت اسمه موآب وهو أبو الموآبيين إلى اليوم.

٣٨ ـ والصغيرة أيضًا ولدت ابنًا ودعت اسمه بن عمى وهو أبو بنى عمون إلى اليوم[1].

هنا نلاحظ كلمة إلى اليوم أى إلى اليوم الذى كتبت فيه القصة.

وفيه دلالة على أن القصة موضوعة.

والمعلوم أنه كانت هناك عداوة ضد الموأبيين وبنى عمون.

---

(١) سفر التكوين ١٩ آية ٣٠ ـ ٣٨.

ويرى النقاد أن الكاتب أراد أن ينسب الاثنين فى أمهما فألف القصة.

ومن ناحية أخرى تراهم قد نسبوا إلى لوط مالا يتفق مع دين ولا عقل، بل قد يتنزه عنه رعاع الناس.

وكما يذكر اسبينوزا "أن موسى ليس هو مؤلف الأسفار الخمسة، بل إن مؤلفها شخص آخر عاش بعده بزمن طويل، وإن موسى كتب سفرًا مختلفًا"(١).

وقد ساق أدلة كثيرة على ذلك منها :

"ورد في سفر التثنية (٣١: ٩) وكتب موسى هذه التوراة".

ويستحيل أن يكون موسى قد قال ذلك(٢).

و"دل ديورانت" يعقد مقارنة يبين بها أن سفر الشريعة الذى قرأه "يوشيا" الملك فى القرن السابع قبل الميلاد غير الذى قرأه"عزرا" الكاهن سنة ٤٤٤ق م.

ودليله على ذلك الزمن الذى استغرقته قراءة السفر فى عهد "يوشيا" حيث قرىء مرتين كاملتين فى يوم واحد وأما فى عهد "عزرا" فقد استغرقت القراءة أسبوعًا(٣).

وصدق الله العظيم عندما أخبرنا بأنهم يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله.

يقول سبحانه :

﴿ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشْتَرُوا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ ﴿٧٩﴾ ﴾(٤).

---

(١) رسالة فى اللاهوت ص ٢٦٦

(٢) نفسه ص ٢٦٧.

(٣) يرجع فى ذلك إلى قصة الحضارة المجلد الأول الجزء الثانى ص ٢٦٦

(٤) البقرة آية ٧٩.

والعجب أن البيضاوى فى تفسيره يفهم من هذه الآية فهماً ويأتى سبينوزا ليوافق هذا الفهم ، يقول البيضاوى يكتبون الكتاب يعنى المحرف ، ولعله أراد به ما كتبوه من التأويلات الزائفة.

ويقول سبينوزا :

"إننا نرى معظم اللاهوتين وقد انشغلوا بالبحث عن وسيلة لاستخلاص بدعهم الخاصة وأحكامهم التعسفية من الكتب المقدسة بتأويلها قسرًا وبتبرير هذه البدع والأحكام بالسلطة الآلهية"(١).

اتضح إذا أن هناك عقائد يهودية يدعى أنها إلهية وهى ليست كذلك ويأتى القرآن الكريم ليرد عليهم فى هذه العقائد.

(١) رسالة فى اللاهوت ص ٢٤١

النصرانيه

دخلت النصرانية نجران على يد مبشرين جاءوا إليها من قبل الدولة الرومانية نحو سنة ٣٤٣ميلادية .

وأما اليمن فإنها كانت أمل الحبشة النصرانية لما فيها من الخيرات. وجاء ذو نواس اليهودى ملك اليمن وأراد أن يفرض اليهودية، ولكن أهل نجران أبوا ذلك. وقد حاول معهم دون جدوى.

ومن هنا أخذ يتحين الفرص للقضاء عليهم، ولكن الظروف لم تمكنه من ذلك حيث هبت الروم لنصرة أهل نجران بواسطة النجاشى، وكان النصر للأحباش وبدأت النصرانية تنتشر فى اليمن.

وشعر الأحباش بقوتهم، وأنهم يستطيعون الزحف نحو مكة لصرف الناس عن الحج إلى الكعبة.

وكانت قصة الفيل كما وردت فى القرآن الكريم.

هذا فى الجنوب.

أما فى الشمال فقد كانت المسيحية فى غسان وتغلب وربيعة وطيء.

وعند الفتح الإسلامى وانتشار الإسلامى فى الشرق كانت المسيحية، موزعة بين كنيسة اليعاقبه، وكنيسة النساطرة، والكنيسة الكاثوليكية أو الملكية التى كان يطيب للمنشقين أن يسموها الكنيسة "الخلقدونية"[١].

ولم يكن اليعاقبه والنساطرة هم الأقل قدرًا فمنذ قرن أو قرنين كانت الحيرة عاصمة النساطرة العرب الكبرى

---

(١) أعنى أنها اعترفت بما قرره المجمع المسكونى الخلقدونى (٤٥١م) على خلاف اليعاقبة والنساطرة "فلسفة الفكر الدينى" هامش ص ١٤ جـ٢ وقرار المجمع الخلقدونى هو أنا نعلم أن المسيح، ابن الله الوحيد ، وهو رب واحد فى طبيعتين بدون امتزاج ولا تغير (إزاء القائلين بالطبيعة الواحدة) وبدون تقسيم وتفريق (إزاء النساطرة) ودون ، أن يلغى هذا الاتحاد تمايز الطبيعتين ، ومع بقاء خواص كل من الطبيعتين على حالها.

وكانت تقع فى جنوبى الكوفه على أبواب بادية الشام يحكمها الأمراء اللخميون الذين خضعوا للفرس وانتهى بهم الأمر إلى اعتناق المسيحية دينًا لهم، ثم أزال الفرس ولاية اللخميين سنة ٦٠٢ وفتحت المدينة سنة ٦٣٣ أبوابها للمسلمين من غير قتال.

ومنذ القرن السادس كان قد لجأ إليها، ودخل تحت نفوذ الفرس قوم من القائلين بالطبيعة الواحدة فى المسيح، اضطهدهم الإغريق. إلا أن العاصمة الكبرى للعرب القائلين بالطبيعة الواحدة فى المسيح كانت بصرى شرقى الأردن وكان يحكمها وال تتولى بيزنطه تعيينه مباشرة أو أمير من أمراء الغساسه وهم عرب مسيحيون يعمل لحساب بيزنطه....

وكان يحق للنساطره أن يباهوا ببعض المراكز الفكرية.

أما اليعاقبه فأكثروا عدد المدارس فى الفرس، ثم اقتدى بهم النساطرة بعد ذلك، أنشأ كلا الطرفين أديرة كثيرة.

كانت المراكز الثقافية الكبرى فى الشرق الأوسط وبلاد فارس للنساطرة على حين كانت المراكز الريفية و البدوية فى بلاد الشام وجزيزة العرب ثم فى مصر، لليعاقبه القائلين شكلاً بالطبيعة الواحدة فى المسيح....

وإلى كنيسة اليعاقبه انتمت طائفة من القبائل العربية ولاسيما قبيلة تغلب قوم الأخطل الشاعر المسيحى الأكبر فى البلاط الأموى.

ومن اليعاقبه أيضًا كانت القبائل العربية المسيحية التى حالفت المسلمين فى حروبهم فى السنين الهجرية الأولى، ثم اعتنقت الإسلام بعد ذلك[1].

والآن إلى توضيح هذه الفرق النصرانية التى ورد ذكرها والتى كانت منتشره فى الجزيرة العربية ومصر والشام، وسائر البلاد المسيحية.

---

(١) فلسفة الفكر الدينى ص ١٤ ـ ١٦ جـ ٢.

النصارى وتعدد عقائدهم

كانت الروم وقت بعثة المسيح وثنية، وبقيت حربًا على المسيحين حتى عهد قسطنطين، أوائل القرن الرابع الميلادى.

ولقد ذاق المسيحيون على يدى الروم الوثنين كل أصناف العذاب.

وتفنن حكامها فى التنكيل بكل من ثبتت صلته بالمسيحية ومن هنا تخفى المسيحيون بدينهم. وهذا جعل المسيحى يتقبل ما يلقى إليه دون أن يحاول أو يستطيع التأكد من صحة نسبته إلى المسيح عليه السلام.

ولما جاء قسطنطين أعطى المسيحيين الأمان وعندئذ استطاعوا الجهر بدينهم ولكنهم فوجئوا بأنهم مختلفون فى كل شيء تقريبًا.

وقام من يدعو إلى التوحيد وأن عيسى هو عبد الله ورسوله وأشهر هؤلاء الدعاة إلى التوحيد هو (أريوس).

وظهر من وقف ضد (آريوس) وضد فكرة التوحيد وأشهر هؤلاء بابا الإسكندرية.

ووصل الأمر إلى قسطنطين، وعندئذ أمر بعقد مجمع يضم هؤلاء المختلفين حتى يعرف الحق مع من.

ومن أجل ذلك انعقد مجمع نيقية [1] سنة ٣٢٥م.

وبرغم أن الذين كانوا يقولون بتأليه المسيح هم القلة إلا أنهم انتصروا .

وأسفر المجمع عن القول بتأليه المسيح وأزليته وأنه لم يكن هناك وقت المسيح فيه غير موجود والحكم بكفر من يرى غير هذا، وإبادة الكتب التى جاء فيها ما يناقض هذا القرار.

ولكن هذا القرار لم يستطع القضاء على المخالفين، وخاصة (آريوس) الذى بقى يدعو إلى عقيدته وهى توحيد الله وأن عيسى عبد الله ورسوله وبمرور الزمن تعددت العقائد فى المسيحية وانتشرت هذه الديانة وهى تحمل معها هذه الخلافات فى العقيدة

(١) فلسفة الفكر الدينى ص ١٤ ـ ١٦ جـ ٢.

وأهم العقائد المسيحية التى كانت منتشرة وقت مجيء الإسلام هى :

أ ـ الأريانيه : نسبة إلى آريوس (٢٥٦ ـ ٣٣٦)م كان يدعوا إلى التوحيد، وأن المسيح ليس إلها وكان يقول.

"أن الله واحد فرد ، غير مولود ، لا يشاركه شيء فى ذاته تعالى ، .

فكل ما كان خارجًا عن الله الأحد إنما هو مخلوق من لا شئ بإرادة الله ومشيئته ، أما الكلمة فهو وسط بين الله والعالم، كان ولم يكن زمان لكنه غير أزلى ولا قديم ، بل كانت مدة لم يكن فيها الكلمة موجودًا.

فالكلمة مخلوق ، بل إنه مصنوع ، وإذا قيل إنه مولود فبمعنى أن الله تبناه[١]. فهو هنا يقرر إنسانية المسيح ، وحدوثه ، وينكر أنه إله وقد حكم عليه بمجمع نيقيه سنة ٣٢٥بالكفر والحرمان.

وفكرة آريوس (التوحيد) وإن قل أنصارها فإنها لا زالت تقلق بال مؤلهى المسيح ،

"وأن معظم الاساقفه فى الشرق والغرب مازالوا يردون على هؤلاء الخوارج جيمعهم ـ كما يقول ـ ويدافعون عن العقيدة التى أجمعوا عليها ـ كما يقول ـ فى نيقيه ويوضحونها[٢].

ب ـ البوليقيانيون : يطلق هذا الاسم على بولس الشمشاط وأصحابه وهم كذلك يقولون بالتوحيد.

جـ ـ النسطوريون : نسبة إلى نسطور وملخص مذهبه أنه يقول باثنينية الأقنوم فى المسيح.

فالمسيح لا يقوم بأقنوم واحد بل بأقنومين ، طبيعتين ، وبينهما وحدة كانت نتيجة اتحاد أقنوم الكلمة الإلهى بالإنسان.

ويعنى باتحاده ما كان أشبه شيء بالاتصال والقربى عن طريق الإنس والرضوان [٣]

---

(١) فلسفة الفكر الدينى صـ٢٨٧ جـ ٢.

(٢) نفسه صـ ٢٨٨.

(٣) نفسه ص ٣٠٤ والمراد بالطبيعة القوة ومبدأ الفعل. والنزاع هو : هل ما للاله من إرادة وفعل وما للإنسان إرادة وفعل متحدان فى المسيح أم هما متمايزان.

فنجد النسطوريين هنا فى المسيح لم يهملوا الطبيعة البشرية وبذلك.

"يثبتون للمسيح خصائص الإنسان فى الوجود والإرادة والفعل، مميزين بين ذلك وبين ما للعنصر اللاهوتى[١]. "لقد تصوروا الطبيعة البشرية مستقلة قائمة بذاتها فى مقام الأقنوم.

إن مذهب نسطور ينطلق من أن للمسيح طبيعتين متباينتين كاملتين تحتفظ كل منهما بخواصها وملكاتها التى بها تتحرك وتعمل. على أن المسيح مع ذلك واحد[٢]. ووحدة المسيح نتيجة الاتحاد.

أما رأيه فى "مريم" العذراء فإنه يستنكرأن يطلق عليها أم الله.

أما الرأى فيه فإن ما قاله لم يرض بابا الإسكندرية"كيرلس" وعقد مجمع أفسس المسكونى الثالث (٤٣١) الذى كفر فيه نسطور[٣].

د ـ (مذهب الطبيعة الواحدة فى المسيح) ملخص هذا المذهب أن المسيح فيه أقنوم واحد وينظر فى هذا المذهب إلى المسيح من حيث كونه إلهًا قبل كل شيء.

هو الكلمة الإلهى الذى تدور حوله كل المسائل فى هذا العلم اللاهوتى " فالكلمة هو ابن الله، وهو كامل قبل تجسده ثم شاء أن يضم إلى ذاته الطبيعة الإنسانية التى لا تغنيه فى شيء لأنها لا تزيده شيئًا، بل لا تحدث فيه تغيرات قط.

أنما كان منزها عن الجسد، ثم صار جسدًا، أى إنسانًا، لقد ولد إنسانًا لكن لا يسعنا القول: إن أقنوما، جديدًا حدث فى التجسد، بل هو الكلمة الإلهي الذى ولد أذ اتحد بطبيعة إنسانية من غير أن يفقد شيئًا من وحدته[٤] من هنا تجد الفرق بين النساطرة وبين أصحاب الطبيعة الواحدة .

فالنساطرة ميزوا بين المسيح إلهًا، والمسيح إنسانًا، ثم جعلوا بين الطبيعتين وحدة أو اتحادًا أدبيًا معنويًا.

---

(١) تاريخ الفلسفة فى الإسلام ص٢٠ ـ٢١.

(٢) فلسفة الفكر الدينى ص ٣٠٤ جـ ٢.

(٣) نفسه ص ٣٠٢.

(٤) نفسه ص٣٠٩ ويجب أن تعرف أن اليعاقبه يقولون بوحدة الطبيعة فى المسيح فأصحاب القول بالطبيعة الواحدة يعرفون باليعاقبه فى بلاد الشام وبالأقباط فى مصر "٤ ـ نفس المصدر صـ٣٠٩.

أما أصحاب الطبيعة الواحدة فإنهم يؤكدون الوحدة فى المسيح، فهناك إتحاد فى الأقنوم قد تحقيق فى الأقنوم القديم الذى هو أقنوم الكلمة الإلهى.

وبذلك لم يعط أصحاب الطبيعة الواحدة إهتمامًا للعنصر الناسوتى.

هـ ـ تأليه الروح القدس.

فى مجمع نيقيه ـ كما تقدم ـ تقرر تأليه المسيح وأما الروح القدس فلم يتعرض هذا المجمع له بشيء وظهرت دعوة "مقدونيوس" الذى نادى بأن الروح القدس ليس بإله.

وهنا قامت ضده حملة كان من أثرها أن أنعقد المجمع القسطنطينى الأول سنة ٣٨١م.

وكانت نتيجة الاجتماع قرار بإلهية روح القدس، ولعن مقدونيوس وأتباعه.

وبعد القول بتأليه الروح القدس يكون الثالوث المسيحى الآب والابن والروح القدس.

ثلاثة أقانيم.

الأقنوم الأول أقنوم الأب والأقنوم الثانى أقنوم الابن والأقنوم الثالث أقنوم الروح القدس.

وبذلك يكون الثالوث المسيحى الأقدس، كما يقولون.

هذه بعض العقائد المسيحية التى كانت موجودة عند بدء انتشار الإسلام وسيكون الدفاع عن التوحيد الإسلامى ضد هذه العقائد وغيرها من أنواع الشرك.

العقائد المسيحية أمام النقد

سيأتى الرد على العقائد الباطلة فى المواضع التى تتصل بها.

فالرد على الشرك فى الكلام على الوحدانية والرد على الطعن فى النبوة عند الكلام على الرسالة وهكذا.

ولكننا هنا نقول:

قد مرت عصور على المسيحية، واتجه التفكير الإنسانى بعيدًا عن التعصب بعض الشئ.

فهل بقيت النظرة إلى المسيحية من غير المسلمين كما كانت من قبل؟

الحقيقة أن النقاد اتجهوا إلى العقائد المسيحية ليبينوا زيفها.

ولم يعد أمامهم من عقبة إلا التعصب ضد الإسلام ولو تجاوزوا هذه العقبة لأعلنوا إسلامهم.

إنهم أعلنوا أن العقائد المسيحية مأخوذة من الوثنية يقول" ديورانت" عن عبادة المصريين وتأثيرها فى المسيحية.

وكان لهذه الأساطير والرموز الشعرية الفلسفية أعمق الأثر فى الطقوس المسيحية، وفى الدين المسيحى، حتى أن المسيحيين الأولين كانوا أحيانًا يصلون أمام تمثال "ايزيس" الذى يصورها وهى ترضع طفلها "حورس".

وكانوا يرون فيها صورة أخرى للأسطورة القديمة النبيلة أسطورة المرأة (أى العنصر النسوى) الخالقة لكل شيء، والتى تصبح آخر الأمر أم الإله.

وكانت هذه الآلهة - رع (أو آمون كما يسميه أهل الجنوب) وأو زير وايزيس، وحورس - أعظم أرباب مصر.

ولما تقادم العهد امتزج "رع" و"آمون" وإله آخر هو "فتاح".

فأصبحت ثلاث صور لإله واحد أعلى يجمعها هى الثلاثة[١].

وينتقل الثالوث المصرى إلى الديانة المسيحية ليصبح عقيدة المسيحيين "فباسم المسيح يبدو أن حياة الوثنية كلها سواء فى ميدان الفلسفة أو الدين، وبكل ما انطوت عليه من تناقضات وفوضى وقد دبت فيها الحياة من جديد، فنشطت وانتصرت على دين الروح والحق الذى بشر به وعاشه الأستاذ اليهودى [٢].

إن أخذ المسيحية عن الفلسفة والوثنية كان سببًا فيما أصابها من تصدع وتشقق ويرى اسبينوزا أنها لن تعود إلى صفائها إلا إذا تخلصت من العقائد الدخيلة.

---

(١) قصة الحضارة المجلد الأول الجزء الثانى ص ١٥٩ - ١٦١.

(٢) المسيحية نشأتها وتطورها صـ ١٢ ويراجع كتاب الدكتور محمد مجدى مرجان الذى أرجع عقيدة التثليث إلى مصر والهند

يقول اسبينوزا - بعد أن يبين التناقضات فى العهدين: القديم والجديد: وأخيرًا، لاشك فى أن هذا الاختلاف فى الأسس التى يقيم عليها الحواريون الذى كان سببًا لكثير من المنازعات والانقسامات التى مازالت تعانى منها الكنيسة منذ زمن الحواريين.

لاشك أنها ستظل تعانى منها إلى الأبد، حتى يأتى اليوم الذى ينفصل فيه الدين أخيرًا عن التأملات الفلسفية ويقتصر على عدد صغير جدًا من العقائد الشديدة اليسر التى دعا إليها المسيح نفسه"[١].

وفى نفس المعنى يقول "شارلى جنيبير" فى نهاية كتابه: "فالمسيحية إذا ديانة أنشئت - على أساس يهودى - من عناصر متباينة كثيرًا، وإن جمع بين أشتاتها على حد سواء الأصل الشرقى: عناصر يونانية فى جوانب كثيرة منها، ولكنها أيضًا عناصر من أسيا الصغرى، وسوريا، وما بين النهرين ومصر[٢].

ويقول أيضًا عن الأناجيل وتعارضها:

"وتصفح الأناجيل وحده يكفى لاقناعنا بأن مؤلفيها قد توصلوا إلى "تركيبات" واضحة التعارض لنفس الأحداث، والأحاديث، مما يتحتم معه القول بأنهم لم يلتمسوا الحقيقة الواقعية، ولم يستلهموا تاريخًا ثابتًا يفرض تسلسل حوادثه عليهم، بل على العكس من ذلك اتبع كل هواه وخطته الخاصة فى تنسيق وترتيب مؤلفه[٣].

ويقو ل عن المسيح:

"ولم يقل عن نفسه أنه "ابن الله" وذلك تعبير لم يكن فى الواقع ليمثل - بالنسبة إلى اليهود - سوى خطأ لغوى فاحش وضرب من ضروب السفه فى الدين.

كذلك لا يسمح لنا أى نص من نصوص الأناجيل بإطلاق تعبير "ابن الله" على عيسى، فتلك لغة لم يبدأ فى استخدامها سوى المسيحيين الذين تأثروا بالثقافة اليونانية، إنها اللغة التى استخدمها القديس بولس كما استخدمها مؤلف الإنجيل الرابع، وقد وجدا فيها معانى عميقة وعلى قدر كاف من الوضوح بالنسبة إليهما.

---

(١) رسالة فى اللاهوت صـ ٣٣٥

(٢) المسيحية نشأتها وتطورها صـ ٢٠٥.

(٣) نفسه ص ١٠.

ويقول المؤلف فى الهامش تعليقًا على هذا:

"يمكن لليهودى أن يعتبر نفسه عبدًا ليهوه" (لا) ابنا ليهوه، ونعتقد أن من المحتمل أن يكون عيسى قد تصور نفسه"عبد الله" وتقدم للناس بهذه الصفة والكلمة العبرية"عبد"كثيرًا ما تترجم إلى اليونانية بكلمة تعنى "خادمًا" و"طفلاً"على حد سواء.

وتطور كلمة "طفل" إلى كلمة "ابن" ليس بالأمر العسير ولكن مفهوم "ابن الله" نبع من العالم الفكرى اليونانى[1]"

وبعد فإن ما جاء به القرآن الكريم فى أن عيسى لم يطلب من الناس أن يدعوه إلهًا، إن هذا الذى جاء به القرآن الكريم هو الذى توصل إليه ثقات الباحثين، كما اتضح لنا الآن.

وإذًا فإن الرد على المسيحية المبدلة هو رد على أفكار وثنية، اعتقدها قوم باسم المسيحية.

إنه الشرك، أصاب الأديان السماوية، فجاء الإسلام ليصفيها مما أصابها.

---

(١) نفسه ص ١١.